Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Nature and Foundations of John Searle's Theory of Institutional Facts

Muhammad Abdul-Latif Hamudah
PhD candidate in Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Algeria.
E-mail: mahdi.dj313@gmail.com
Reza Azariyan
Professor of Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Iran.

Abstract

The topic of conventionalism, or institutional facts holds a special importance in contemporary discussions in epistemology, as it falls opposite to true and real concepts within the human epistemic system, including both concepts and assents. John Searle, a contemporary Western philosopher, dedicated his studies on social realities, and has unique views in this regard. He divided realities existing in this world into two: natural realities and institutional facts. Searle believed that natural realities are realities that exist independently from the perceiver, like trees, valleys, etc. As for institutional facts, their existence relies on a type of perception by the perceiver, like money, ownership, leadership, and so on. Among the problems Searle faced was his attempt to include institutional facts in the external world, and within material things. This led him to contradictions, because what is external cannot depend on the perception of the perceiver. When he rejected the immaterial and metaphysical realm, he also fell into the problem of a person being coerced, or predestined, because he had to analyse perception as it being something biological, formed within the nerve system of the brain. His claim that institutional facts originate from language also led him to a vicious circle, because that language itself would need language. In this paper, we used the analytical critical methodology in studying the theory of social realities according to John Searle, aiming at understanding this theory and its scope of usage.

Keywords: John Searle, institutional facts, Language, Will.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 24, PP .1-33
Received: 10/03/2024; Accepted: 08/04/2024
Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research
©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

ماهية ومباني نظرية الحقائق التأسيسية عند جون سيرل

محمد عبد اللطيف حمودة

طالب دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، الجزائر.

البريد الإلكتروني: mahdi.dj313@gmail.com

رضا آذريان

أستاذ في الفلسفة الاسلامية، جامعة المصطفى العالمية، ايران.

الخلاصة

تحتلّ الاعتباريات أو "الحقائق التأسيسية" أهمّيةً خاصّةً في مجال الأبحاث المعرفية المعاصرة؛ إذ تقع في قبال الحقائق والمفاهيم الحقيقية في المنظومة المعرفية لدى الإنسان، وتشمل كلًّا من التصوّرات والتصديقات. واهتمّ جون سيرل بمسألة الاعتباريات الاجتماعية؛ إذ يعدّ من أبرز فلاسفة الغرب المعاصرين، الذين بحثوا في مسألة الاعتباريات الاجتماعية، أو كما يسمّيها هو "بالحقائق التأسيسية"، وكانت له آراؤه الخاصّة في هذا المجال؛ إذ قسّم سيرل الحقائق الموجودة في العالم إلى قسمين: حقائق طبيعية وحقائق تأسيسية. وذهب إلى أنّ الحقائق الطبيعية هي الحقائق التي يكون وجودها مستقلًّا عن المدرك؛ كالأشجار والوديان ونحوها، وأمّا الحقائق التأسيسية فإنّ وجودها يعتمد على نوع إدراك المدرك، كالمال والملكية والرئاسة ونحوها. ومن أهمّ الإشكالات التي يواجهها سيرل محاولته إدراج الحقائق التأسيسية في عالم الخارج وضمن الأشياء المادّية، وهو ما أوقعه في تناقض؛ لأنّ ما في الخارج والعين لا يمكن أن يكون متوقّفًا على إدراك المدرك. كما أنّه بنفيه لما وراء الطبيعة وعالم المجرّدات وقع في مشكلة كون الإنسان مجبورًا؛ لأنّه اضطر إلى تحليل الإدراك وكأنّه مسألة بيولوجية تنشأ من الأجهزة العصبية الموجودة في الدماغ. كما أنّ ادّعائه بأنّ الحقائق التأسيسية تتقوّم باللغة أوقعه في مشكلة الدور؛ لاحتياج اللغة نفسها إلى لغة. واعتمدنا في هذا البحث المنهج التحليلي والنقدي في دراسة نظرية الاعتباريات الاجتماعية عند جون سيرل، وذلك في نطاق تحديد طبيعة هذه النظرية ووظائفها.

الكلمات المفتاحية: جون سيرل، الحقائق التأسيسية، الالتفات، إسناد الوظيفة، القواعد المقوّمة، اللغة، الإرادة.

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 24، ص. 1 ـ 33

استلام: 2024/03/10، القبول: 2024/04/08

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف

CC BY NC

المقدّمة

إنّ من بين المباحث الفلسفية العميقة وذات الأهمّية البالغة في الفلسفة بحث الاعتباريات الاجتماعية، أو كما يسميها سيرل بـ"الحقائق التأسيسيّة". إلّا أنّ الكثير من الفلاسفة لم يفردوا له مجالًا مستقلًّا في منظومتهم الفلسفية. بينما نجد أنّ جون سيرل خصّص لهذه المسألة جانبًا مستقلًّا في منظومته الفكرية.

فلجون سيرل[1] إسهام كبير في مجال بيان ماهية الأمور الاعتبارية وكيفية وجودها والتفصيل في حيثياتها المختلفة؛ إذ حظي كتابه "بناء الواقع الاجتماعي" (The Construction of Social Reality) باهتمام كبير من قبل الفلاسفة. كما فصّل أكثر في المسألة في كتابه الثاني الذي أصدره عام 2010 تحت عنوان "إيجاد العالم الاجتماعي"، وردّ فيه على الكثير من الانتقادات الموجّهة لكتابه الأوّل. ونحن في هذا البحث نريد أنّ نبيّن رؤية جون سيرل حول ماهية الاعتباريات الاجتماعية والمباني التي اعتمدها في تحقيقه للمسألة، والإشكالات الواردة على نظريته.

ويرى جون سيرل بأنّ الاعتباريات الاجتماعية تأتي بعد تشكيل الاجتماع؛ لأنّها تتعلّق بوجود مجتمع إنساني، وسماتها تعتمد على الملاحظ. فالإنسان ما دام له وجود مادّي وطبيعي وحياة مادّية، فهو يسعى دائمًا لرفع احتياجاته ونيل الكمالات اللائقة به، ثمّ إنّه يجد أنّ رفع هذه الاحتياجات والوصول إلى تلك الكمالات لا يتيسّر بالحياة الفردية، فيضطرّ إلى الاجتماع، وعن طريق الاستخدام يبدأ بخلق هذه المفاهيم الاعتبارية [سيرل، العقل اللغة والمجتمع، ص 172 و178]؛ لذلك تجد للاعتبار أهمّيةً كبيرةً في الحياة الاجتماعية للإنسان، فمن دونه لا تتيسّر للإنسان الحياة الاجتماعية؛ وذلك لأنّ الأمور المادّية الموجودة في الخارج لا تفي بتحقيق جميع أغراض الإنسان، بل تحقّق له جزءًا يسيرًا منها؛ لذلك فالإنسان يضطرّ إلى الاعتبار لخلق مفاهيم اعتبارية جديدة منتزعة من المفاهيم الحقيقية، ويحاول كذلك أن يمثّل بهذه المفاهيم الواقع الخارجي.

1- جون روجرز سيرل (John Searle) من مواليد 31 تمّوز 1932، هو فيلسوف أمريكي، وهو الآن أستاذ فخري في فلسفة العقل واللغة وأستاذ بكلّية الدراسات العليا بجامعة كاليفورنيا بيركلي. معروف على نطاق واسع لمساهماته في فلسفة اللغة وفلسفة العقل والفلسفة الاجتماعية، وقد بدأ التدريس في جامعة بيركلي في عام 1959. من أشهر أعمال جون سيرل: "أفعال الكلام"، "التعبير والمعنى"، "القصدية"، "العقول والأدمغة والعلم"، "إعادة اكتشاف العقل"، "بناء الواقع الاجتماعي"، "لغز الشعور".

المبحث الأوّل: مفردات البحث

أوّلًا: تعريف الاعتبار

للاعتبار معانٍ متعدّدة منها:

1ـ يطلق الاعتباري في مقابل الأصيل، في بحث الوجود والماهية، فالذي يملأ الواقع الخارجي ويكون متحقّقًا بالذات هو الذي يتّصف بالأصالة، والذي لا يملأ الواقع الخارجي ويكون متحقّقًا بالعرض هو الذي يتّصف بالاعتباري. [السبزواري، شرح المنظومة، ص 65 و66]

2ـ يطلق الاعتباري على جميع المعقولات الثانية، سواء كانت فلسفيةً أم منطقيةً، وحتّى مفهوم الوجود يعدّ طبق هذا الاصطلاح من المفاهيم الاعتبارية، وكثيرًا ما استعمل هذا المصطلح في كتب شيخ الإشراق. [مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج 1، ص 201]

3ـ يطلق الاعتباري على المفاهيم التي ليس لها مصداق خارجي ولا ذهني، وإنّما تصاغ عن طريق قوّة الخيال، كمفهوم "الغول" وتسمّى هذه المفاهيم بـ"الوهميات". [المصدر السابق، ص 201]

4ـ ويطلق تعبير "المفاهيم الاعتبارية" كذلك على المفاهيم الواقعة ضمن نطاق العقل العملي، سواء كانت مفاهيم قانونيةً أو أخلاقيةً أو اجتماعيةً. وبعبارة أخرى، المعنى التصوّري أو التصديقي الذي لا تحقّق له فيما وراء ظرف العمل، ومآل الاعتبار بهذا المعنى إلى استعارة المفاهيم نفس الأمرية الحقيقية، بحدودها لأنواع الأعمال التي هي حركات مختلفة ومتعلّقاتها للحصول على غايات حيوية مطلوبة، كاعتبار الرئاسة لرئيس القوم ليكون من الجماعة بمنزلة الرأس من البدن في تدبير أموره وهداية أعضائه إلى واجب العمل، واعتبار المالكية لزيد مثلًا بالنسبة إلى ما حازه من المال ليكون له الاختصاص بالتصرّف فيه كيف شاء، واعتبار الزوجية بين الرجل والمرأة ليشترك الزوجان فيما يترتّب على المجموع. [الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص 258 و259] وهذا المعنى هو المقصود في بحثنا هذا.

5ـ عرّف سيرل المفاهيم الاعتبارية بأنّها تلك المفاهيم التي يتوقّف وجودها على إدراك المدرك، وتحتاج للالتفات الفردي أو الجماعي مع إسناد وظيفة وشأن ما للأشياء الخارجية، مع إبرازها عن طريق اللغة [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 158]، فتشمل كلًّا من المفاهيم الأخلاقية والحقوقية والاجتماعية.

ثانيًا: تعريف المؤسّسة

تعدّ المؤسسة أنظمةً ذات معايير مترابطة تنبع من القيم المشتركة والمعمّمة من خلال مجتمع معيّن أو مجموعات اجتماعية معيّنة، بوصفها إحدى طرقها الشائعة في التمثيل والتفكير والإحساس. وتمثّل جزءًا لا يتجزّأ من الحياة الاجتماعية، كما أنّها تعدّ مصدرًا للممارسات الاجتماعية المتكرّرة، والتي تضطلع من خلالها معظم الأنشطة الاجتماعية. وعلى هذا النحو تعدّ المؤسّسات شيئًا جوهريًّا بالنسبة إلى فكرة البنيان الاجتماعي والتنظيم البنيوي للنشاطات البشرية.

في البداية ظهرت هذه الفكرة بين علماء الاجتماع لتصف التقاليد والعادات الشعبية للمجتمع، والتي كان ينظر إليها على أنّها من الضروريات الأساسية لأيّ حضارة أو تقاليد ثقافية. وعلى سبيل المثال كان ويليام سمنر (William Sumner) ينظر إليها على أنّها مجموعة من العادات تتنامى بطرق غير مقصودة وغير مخطّط لها؛ إذ جرى تبني طرق معيّنة من التمثيل والتفكير والإحساس، وتمّ تكرارها عبر الزمن لتصبح طرق تعامل روتينيةً مسلّمًا بها. عرّف هربرت سبنسر (Herbert Spencer) المجتمعات بأنّها تتألّف من مؤسّسات محلّية وشعائرية وسياسية وإكليرية (أو دينية) وحرفية (أو مهنية) وصناعية. [سكوت، علم الاجتماع.. المفاهيم الأساسية، ص 357]

عبّر دوركهايم عن هذه الفكرة بنجاح؛ حيث أجملها في فكرة المبادئ القانونية أو الأخلاقية أو المعرفية الكامنة في الحقائق الاجتماعية الحصرية لمجتمع معيّن. على سبيل المثال أكّد دوركهايم أنّ الأعمال المنطقية الحسابية للناس في علاقاتهم الاقتصادية لا يمكنها أن تحدث إلّا بسبب الافتراض المسبق للأعمال لعنصر الاعتبار المعياري غير التعاقدي، الذي يعبّر عنها. يتمثّل هذا العنصر بتأسيس العقد الذي من خلاله يكون كلّ فرد ملزمًا بأداء مهامّه. كما تشكّلت كل الأفعال الاجتماعية بالطريقة نفسها. [المصدر السابق، ص 358]

فالحقائق التأسيسية تحتاج إلى مؤسّسة إنسانية؛ حتّى تقوم بفعل التأسيس لتلك المفاهيم الاعتبارية والتمثيل لها في الخارج؛ ولذلك سمّاها سيرل بـ"الحقائق التأسيسية"؛ لأنّها تحتاج إلى قصد جماعي، وإسناد وظيفة، وشكل معيّن من القواعد، والتي يسمّيها سيرل بـ"القواعد المقوّمة".

المبحث الثاني: ماهية نظرية الحقائق التأسيسية عند جون سيرل

أوّلًا: دور الابداع الذهني في الاعتبار

من المباحث المهمة التي لاقت رواجًا واسعًا في الفلسفة هي مسألة الإبداع الذهني (La créativité)، وهي التي تلعب الدور الأساسي في تشكيل الاعتباريات، فالاعتباريات هي نتاج إبداع الذهن على مستوى خلق المفاهيم. فعندما نضع مجموعةً من الخطوط والألوان مكان شخص ما فهو يدلّ على مستوى إبداع الذهن، فلو لم تكن عندنا القدرة على الإبداع الذهني، لما استطعنا أن نعكس الواقع في قالب اللغة.

فكوننا نرى النور المنعكس من المرآة شخصًا حقيقيًّا، يرجع ذلك إلى عمل يمارسه الذهن؛ لأنّنا عندما ننظر إلى المرآة فإنّ كلّ ما نراه في الواقع هو انعكاسٌ للنور، وليس شيئًا آخر، إلّا أنّنا نراه شخصًا حقيقيًّا أمامنا، فهذه الصورة الحيّة هي نتيجة إبداع الذهن؛ لأنّ الموجود في المرآة باتّفاق جميع العقلاء، ليس موجودًا حيًّا. أو عندما نشاهد فيلما على شاشة التلفاز، فإنّنا نغرق فيه حتّى نظنّ أنّه حقيقي، بينما نعلم بالبداهة أنّه ليس حقيقةً. ففي واقع الأمر عندما ننظر إلى شاشة التلفاز، فإنّ كلّ ما نراه هو مجموعة من الألوان، تتردّد بين التلفاز وشبكة العين، ولا يوجد شيء آخر في البين، إلاّ أنّنا نرى موجودات حقيقية وحيّة أمامنا، حتّى أنّنا في كثير من الأحيان إذا أعجبنا الفيلم نشعر وكأنّنا أصبحنا داخل ذلك المشهد، أي أنّنا نصبح نرى أنفسنا جزءًا من فضاء ذلك الفيلم، فكلّ ما يحدث فيه يؤثّر فينا سلبًا أو إيجابًا.

إلّا أنّ كلّ ذلك غير حقيقي، ولا وجود له في الواقع. إذن أين يوجد هذا الفضاء الذي عشنا فيه وكأنّه محيط واقعي؟ إنّ كل ذلك وقع في فضاء أنفسنا ويرجع إلى إبداعنا الذهني. فعندما نشاهد فيلمًا ما فنحن في الواقع الذين نخلق محتوى ذلك الفيلم في باطننا، وهذه النكتة لا يلتفت إليها عامّة الناس، فهم يظنّون أنّ لقطات الفيلم حقيقية، وأنّ ذلك المحتوى ينتقل إلينا عن طريق تلك الصور. بينما ذلك غير صحيح؛ لأنّ الذهن هو الذي يصنع ذلك المحتوى.

ثانيًا: رؤية سيرل حول الحقائق التأسيسية

يرى جون سيرل أنّ العالم الذي نعيش فيه يشتمل على نوعين من الحقائق، هما: الحقائق الطبيعية والحقائق التأسيسية. والحقائق الطبيعية هي الحقائق التي لا تتوقّف في حدوثها وبقائها

على الإنسان وأنماط فهمه وإدراكه، من قبيل: الجبال والأشجار ووجود الإنسان والحيوان ونحوها، إلّا أنّ الحقائق التأسيسية ترتبط بالإنسان وطريقة فهمه.

وقد ذهب سيرل إلى القول بأنّ الاختلاف بين الحقائق الطبيعية والحقائق التأسيسية أمرٌ في غاية الأهمّية، واعتبره من المبادئ والمباني النظرية للأفعال الكلامية. وقد تحدّث سيرل حول التمايز والاختلاف بين هذين النوعين من الحقيقة، قائلًا: «إنّ لبعض الأمور وجودًا مستقلًّا عن أيّ مؤسّسة إنسانية، وأنا أطلق على هذا النوع من الأمور مصطلح "الحقائق الطبيعية". إلّا أنّ بعضها الآخر يستلزم في وجوده وجود مؤسّسة إنسانية. إنّ الحقيقة القائلة بأنّ الأرض تبعد عن الشمس بمسافة 93 مليون ميل من مصاديق الحقائق الطبيعية ونماذجها، وإن الحقيقة القائلة: إنّ باراك أوباما رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نموذجٌ للحقيقة التأسيسية. إنّ الحقائق التأسيسية هي في الأساس حقائق عينية وخارجية، ولكنّها إنّما تكون حقائق بشكل عجيب لمجرّد كونها موضع اتّفاق أو قبول الناس بذلك» [Searle, Making the social world, p10].

فسيرل لاحظ بأنّ هناك وقائع تتعلق بإدراكنا ونظرتنا الخاصّة للواقع، كما إذا قلت "أنا مواطن من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية" و"هذه الورقة التي أحملها في جيبي هي ورقة نقدية من فئة خمسة دولارات" و"كون أختي الصغرى قد تزوجت في الرابع عشر من ديسمبر" و"كوني أمتلك حصة في مقاطعة بيركلي" و"كون فريق كرة القدم الأمريكية قد فاز بالكأس لعام 1991"؛ وكلّها تسمى بـ "الحقائق التأسيسية" (Faits institutionnels).

[سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 33]

فالحقائق التأسيسية تحتاج في تحقّقها إلى مؤسّسات إنسانية. مثلًا: وضع صورة خاصّة وصيغة محدّدة للزواج هي التي يتحقّق بها الزواج بين زيد وكلثوم بتصرّفات خاصّة، وباعتبار مفهوم المالكية تتحقّق ملكيتي لقطعة الأرض الفلانية، كما أنّ قطعة النقود التي تحمل قيمة 10 دولارات لا تتحقّق إلّا باعتبار مؤسّسة إنسانية لمفهوم النقود.

ويقابل هذا النوع من الحقائق حقائق أخرى طبيعية؛ كما إذا قلنا "قمّة جبل إفرست مليئة بالثلج" أو "ذرّات الهيدروجين لها إلكترون واحد" وغيرها من الأمثلة. فالحقائق الطبيعية مستقلّة عن أيّ مؤسّسة إنسانية، ولا تتوقّف على توافق البشر واعتبارهم.

ثمّ إنّ سيرل يعتقد بأنّ الحقائق التأسيسية بما أنّها تتوقّف على المؤسّسات الإنسانية، فهي في مقام البروز والبيان تحتاج إلى مؤسّسة اللغة، إلّا أنّنا يجب أن نفرّق بين الواقعيات المبرزة

وإبـراز تلـك الواقعيـات. فـالذي يحتـاج إلى مؤسّسـة اللغـة هي جملـة " الأرض تبعـد عـن الشـمس بمسـافة 93 مليـون ميـل"، وأمّـا الحقيقـة الـتي تـم إبرازهـا؛ أي حقيقـة كـون الأرض بعيـدةً عـن الشـمس بمسـافة 93 مليـون ميـل، هي حقيقـة مسـتقلّة عـن أيّ مؤسّسـة. [المصدر السابق، ص 34]

ويعتقـد سـيرل بـأنّ الحقائـق التأسيسـية ـ وبصفـة عامّـة الحقائـق الاجتماعيـة ـ لهـا جنبـة ميتافيزيقيـة، أي أنّ بنيتهـا الوجوديـة شـبيهة بالحقائـق الطبيعيـة، فـلا تنحـصر بنيتهـا بالمـادّة، بـل بالإضافـة إلى الجانـب المـادّي والطبيـعي، لهـا جانـب غـير مـادّي كذلـك. ومحتواهـا الميتافيزيـقي يتمثّـل في توافـق النـاس عليهـا، والحيـث القصـدي (Intentionality) وغـير ذلـك. [المصدر السابق، ص 34 و35]

كما أشار سيرل إلى حيثية القصد الجماعي (Collective intentionality)

في بنـاء الواقعيـات الاجتماعيـة، حيـث قـال: «الواقعـة الاجتماعيـة هي فعّاليـة تضـمّ فاعلـين أو أكـثر لديهمـا قصديـة جمعيـة» [سـيرل، العقـل اللغـة والمجتمـع، ص 174]؛ مثـلًا إذا لاحظنـا الحيوانـات الـتي تصطـاد بشـكل جمـاعي، فـإنّ كلّ واحـد منهـا يلعـب دورًا في محـاصرة الفريسـة، وهـو يمـارس ذلـك الدور في إطـار عمليـة جماعيـة مشـتركة، فـهي عمليـة منظّمـة بشـكل عالٍ، ولـولا ذلـك لمـا تمكّنـوا مـن محـاصرة الفريسـة، وهـذا يـدلّ على وجـود قصـد جمـاعي في هـذه المجموعـة، والـشيء نفسـه بالنسـبة للطيـور الـتي تتعـاون في بنـاء عشّـها، ويتجـلّى هـذا الأمـر بشـكل واضـح وكامـل في المجتمعـات الإنسـانية، وهـذا يـدلّ على أنّ هـذه المجمـوعات لديهـا وقائـع اجتماعيـة.

تحليل ونقد

1ـ أنّ سـيرل وقـع في تناقـض عندمـا ادّعى مـرّةً بـأنّ الحقائـق التأسيسـية إنّمـا هي حقائـق قائمـة بالمؤسّسـة الإنسـانية، ومـرّةً أخـرى يقـول إنّهـا حقائـق عينيـة خارجيـة؛ لأنّ كونهـا عينيـةً خارجيـةً يعـني أنّهـا مسـتقلّة عـن المؤسّسـة الإنسـانية.

2ـ أنّ سـيرل خلـط بـين الوجـود الحقيـقي والاعتبـاري، فهو يـرى بأنّ النقـود موجـودة في الخارج، بينمـا الموجـود في الخـارج هـو الورقـة مـع الألـوان والخطـوط المكتوبـة عليهـا، وأمّـا النقـود فـهي مفهـوم اعتبـاري قائـم بالذهـن. وعليـه فـإنّ النقـود لا تتحقّـق في العالـم المـادّي إلى جانـب الأشـياء المادّيـة، بـل هي مفهـوم قائـم بالذهـن ناظـر إلى الخـارج بـالادّعاء.

3ـ أنّ ادّعاء سيرل بأنّ للحقائق التأسيسية جنبة وجودية مادّية يتعارض مع اعتقاده، بأنّها متقوّمة بتوافق الناس عليها، فكيف لشيء أن تكون له جنبة وجودية مادّية في الخارج بمجرّد توافق الناس عليه؟ مشكلة سيرل أنّه مرّة ينفي تحقّق الحقائق التأسيسية في الخارج، ويرى بأنّها قائمة بإدراك المدرك، ومرّة يتساؤل كيف، يمكن أن توجد في عالم مليء بالعناصر المادّية.

4ـ أنّ الواقعية الاجتماعية لا تنحصر بالقصد الجماعي، بل يمكن أن تنشأ من قصد فردي؛ ففي العصور القديمة مثلًا كان الملك هو الذي يعيّن كيف تطبع النقود والختم الذي تختم به، وأمّا بقيّة الناس فليس لهم دور في هذا الاعتبار بالرغم من أنّه اعتبار يتعلّق بالمجتمع، وكذلك بالنسبة للمدرسة والكنيسة وغيرها.

ثالثًا: أقسام الاعتباريات عند جون سيرل

قسّم جون سيرل الاعتباريات إلى حقائق اجتماعية وحقائق تأسيسية:

أ ـ الحقائق الاجتماعية

الحقائق الاجتماعية هي الاعتباريات التي لا تحتاج في وجودها إلى نظام مؤسّساتي إنساني، مثل واقعة وجود شخصين يدفعان سيّارةً كي تبدأ بالسير. والحقائق الاجتماعية تتطلّب أشكالًا بسيطة من السلوك الاجتماعي. ويرى سيرل بأنّ القدرة التي توجد في السلوك الجماعي هي مسألة بيولوجية موجودة في الإنسان والحيوان بشكل عامّ، مفطور عليها، فهي لا تحتاج إلى آليات شأنية معقّدة. فعلى سبيل المثال ليس على الحيوانات كي تنتقل معًا في قطيع أن يكون لها لغة أو أدوات أو أعراف ثقافية. فليست الضباع بحاجة إلى أدوات لغوية أو ثقافية عندما تتحرّك متجهة في جماعة كي تفتكّ بأسد وحيد معزول، بالرغم من أنّ سلوكها منسّق بمهارة في استجابة بعضها لبعض. وعليه فإنّ الحقائق الاجتماعية لها مزيّة الانتقاء في السلوك المتّسم بالتعاون، كما تستدعي القصد العقلي الجماعي. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 65 و71 و72]

فالحقائق الاجتماعية لا تحتاج إلى لغة وإلى فرض وظيفة، بل تحتاج إلى قصد عقلي جماعي وتتحقّق بشكل عفوي، كصيد الضباع حيوانًا وحيدًا معزولًا، فهي تعتبر أنّ هذا الحيوان يجب صيده بطريقة جماعية، ولكنّ هذا الاعتبار الظاهر في سمة التعاون الجماعي في الصيد ينشأ من الغريزة، ولا يحتاج إلى لغة وفرض وظيفة وشأن.

ب ـ الحقائق التأسيسية

والقسم الثاني من الاعتباريات يتمثّل في الحقائق التأسيسية، والتي تعدّ فرعًا خاصًّا من فروع الحقائق الاجتماعية، فتصديق مجلس النوّاب على قانون معيّن هو حقيقة تأسيسية، أمّا صيد الضباع أسدًا أو دفع شخصين لسيارة فليس من الحقائق المرتبطة بالمؤسّسة؛ لأنّ الحقائق المرتبطة بالمؤسّسة تحتاج إلى اللغة وإلى الأدوات والأعراف الثقافية. كما أنّها تحتاج إلى الفرض الجماعي للوظيفة، والتي تعدّ عنصرًا حاسمًا في صنع الحقائق التأسيسية؛ إذ يمكن للوظيفة أن تؤدّى وحسب بفضل الاتّفاق الجماعي عليها أو بفضل قبول الجماعة لها. [المصدر السابق، ص 72 و73]

ففي الحقائق التأسيسية بعد خلق المفهوم الاعتباري يأتي دور اللغة لانتقال المفهوم للآخرين وبعد تحقّق القصد الجماعي، يتمّ فرض وظيفة وإعطاء شأن لشيء أو شخص ما في الخارج حتّى تتحقق الحقيقة التأسيسية في الخارج. بينما الحقائق الاجتماعية تفتقد لإعطاء الوظيفة والشأن للأشياء والأشخاص، ولا تحتاج إلى اللغة والأفعال الكلامية لتحقيق تلك الوقائع الاجتماعية، بل مجرّد القصد فيها والتعاون الجمعي يكفي لتحقّقها.

رابعًا: كيفية وجود الحقائق التأسيسية

يرى سيرل بأنّ الحقائق التأسيسية لها بنية وتركيب معقّد، بحيث يتعلّق وجودها بملاحظة من يدركون هذه الظواهر. ولتفسير هذه العملية تطرّق سيرل إلى تحليل نسبة الحقائق التأسيسية مع وجودنا ككلٍّ، وأشار إلى نظريتين مهمّتين يقوم عليهما الواقع الخارجي، وهما النظرية الذرّيّة للمادّة (The atomic theory of matter) ونظرية التطوّر البيولوجي (Theory of biological evolution). وعدّ أنّ بعض الأنظمة الموجودة في الواقع هي السبب في بداية ظهور الحقائق التأسيسية، فذهب إلى أنّ الأجهزة العصبية الموجودة في الدماغ هي التي تؤدّي إلى الإدراك العقلي؛ لأنّه يرى بأنّ الإدراك العقلي هي مسألة بيولوجية؛ ولهذا فله طبيعة مادّية، وله في الوقت نفس طبيعة عقلية أيضًا. [المصدر السابق، ص 37 و38]

إنّ هذا التحليل الذي قدّمه سيرل يشير إلى أنّ ظهور الحقائق التأسيسية يبدأ من الواقع المادّي؛ أي عن طريق الأجهزة العصبية، ومن ثمّ يتّخذ طابعًا عقليًّا، فالاتّصالات العصبية هي التي تؤسّس لعملية الإدراك.

وبعد الإدراك العقلي للحقائق الطبيعية، يأتي القصد العقلي والالتفات إلى الواقع الخارجي، أي محاولة فهم الواقع للتمثيل له والتعبير عنه. فالقصدية التي يشير إليها سيرل تنحصر فقط في الحالات الموجّهة، ولا تشمل الحالات غير الموجّهة؛ أي الحالات التي ليس لها سبب معلوم، فتحدث من دون أن يعلم الإنسان بسببها، كأن يشعر الإنسان بالسرور أو القلق من دون أن يعلم سبب ذلك، فالقصدية هي التوجّه والالتفات إلى شيء ما أو حالة ما، وإن لم تكن موجودةً في الخارج، كالخوف من وجود الغول، بينما لا وجود له في الخارج. [سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 22 و25]

فبعد إدراك الواقع، وبعد عدم كفاية ما في الواقع لتلبية احتياجاته، يضطرّ الإنسان لصنع مفاهيم في ذهنه يمثّل بها للوجود، ويعبّر بها عن أشياء أخرى لتلبية احتياجاته. ومن هنا يجد نفسه مضطرًّا للّغة والكلام لإيصال ما صنع في ذهنه للآخرين والتفاهم معهم. فاللغة يستعملها الإنسان للتعبير عمّا في ذهنه والتمثيل لما يتصوّره، وخاصّةً لصنع الحقائق التأسيسية؛ لأنّها تحتاج إلى مؤسّسة إنسانية تشترك في نفس القصد العقلي، وهو ما يطلق عليه "القصد العقلي الجماعي". والفعل الكلامي الذي تحتاج له جميع الحقائق التأسيسية لكي توجد هو الفعل الكلامي التصريحي؛ لأنّ الحقيقة التأسيسية توجد مباشرةً بعد التصريح به.

فلأجل أن يصنع الإنسان نقودًا يتبادل بها السلع والخدمات، يحتاج إلى تفاهم المجتمع الإنساني الذي يعيش معه على رمز خاصّ يصطلحون عليه اسم النقود، حتّى تتمّ علمية التبادل عن طريقه، فمن دون التوافق على شيء واحد لا يمكن للإنسان أنّ يحصّل أغراضه من الطبيعة، فالقصد الفردي لا يكفي في تشكيل الحقائق التأسيسية. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 71 و72]

إنّ هدف سيرل هو إدراج الحقائق التأسيسية في البنية الوجودية لعالم الطبيعة، وبعبارة أخرى أراد سيرل إثبات وجود واقعيات غير طبيعية في عالم الطبيعة المليء بالذرّات المادّية. فسيرل يريد الانطلاق من حقائق طبيعية مادّية كالذرّات والجبال والأشجار وصولًا إلى حقائق اجتماعية محضة، كالمفكّات والكراسي ومنه إلى حقائق تأسيسية، كالمال والحكومة ونحوها.

ولأجل الوصول إلى الحقائق الاجتماعية نحتاج إلى حيثية القصد الجماعي، خلافًا للحقائق الطبيعية التي لا تحتاج إلى قصدية وتوجّه، وللوصول إلى الحقائق التأسيسية نحتاج بالإضافة إلى حيثية القصد الجماعي إلى إسنادًا للوظيفة من قبل مجموعة من الناس، بحيث تتقوّم الحقائق التأسيسية بهذا الإسناد، ومن دونه تفقد ماهيتها ووجودها. [المصدر السابق، ص 72]

كما أشار سيرل إلى أنّ استمرار وجود الحقائق التأسيسية يتعلّق باستمرار قبول أعضاء المجتمع المعنيّين بوجود تلك الحقائق والاعتراف بها؛ لأنّ الحقائق التأسيسية لا توجد إلّا بإعطاء شأن لها من قبل المؤسّسة، ومن خلال ذلك الشأن تعيّن لها وظيفة خاصّة تقوم بها. فبقاء هذه الحقيقة التأسيسية منوط باعتراف أعضاء المجتمع وقبولهم ببقاء ذلك الشأن وتلك الوظيفة لتلك الحقيقة التأسيسية. [المصدر السابق، ص 158]

وعليه يمكن تلخيص العناصر الأساسية التي لها الدور المباشر في صنع الحقائق التأسيسية، فيما يلي:

أ ـ الالتفات الجماعي: وهو حصول حالة من التوجّه لغرض الشيء، ومن ثمّ التوافق الجماعي عليه، بحيث لولا هذا التوافق لا يمكن للحقائق التأسيسية أن توجد.

ب ـ إسناد الوظيفة: وهي إعطاء شأن ووظيفة خاصّة لشخص ما أو شيء ما، وهذا الشأن هو الذي تتقوّم به الحقيقة التأسيسية في الخارج.

جـ ـ الفعل الكلامي التصريحي: إذ إنّ جميع الحقائق التأسيسية تحتاج في وجودها إلى الفعل الكلامي التصريحي؛ لأنّه هو الذي توجد عن طريقه الحقيقة التأسيسية مباشرةً بعد التصريح بها.

د ـ اللغة: وهي حاصل الالتفات الجماعي والفعل الكلامي التصريحي. ويعتقد سيرل بأنّ الحقائق التأسيسية هي أمور لغوية ذاتيًّا؛ لأنّ اللغة والرموز هي المقوّمة لوجودها. فبعد الالتفات والقبول الجماعي لمفهوم الحقيقة التأسيسية، يتمّ إيجادها عن طريق الفعل الكلامي التصريحي.

نقد وتحليل

1ـ أنّ سيرل يتناقض مع نفسه عندما يعدّ الإدراك مسألةً بيولوجيةً تنشأ من الأجهزة العصبية الموجودة في الدماغ؛ لأنّه في موضع آخر رأى الإدراك لو كان أمرًا ماديًّا لانتفى اختيار الإنسان، ومع انتفاء الاختيار لا مجال للاعتبار كما أقرّ هو بذلك. [سيرل، العقل، ص 186]

2ـ اعتقاد سيرل بأنّ "القصد العقلي الفردي لا يمكنه صنع حقيقة تأسيسية" مخالف للواقع؛ لأنّه يمكن أنّ يصنع الإنسان بمفرده حقيقةً تأسيسيةً عن طريق قصده العقلي الفردي، والجماعة تتبع ما قصده وتقرّ به فقط، وهذا ينطبق كذلك على مثال النقود. نعم، غالبًا ما يكون القصد العقلي الجماعي هو السبب في صنع الحقائق التأسيسية.

3ـ محاولة سيرل إدراج الحقائق التأسيسية في بنية الوجود المادّي، خطأ في التحليل، وخلط بين ما هو موجود بالذات والاستقلال وما هو موجود بالادّعاء. فالورقة في الخارج موجودة بالذات وبالاستقلال، وأمّا النقود فهي موجودة بالادّعاء وبمشاركة الوهم؛ أي أنّ الورقة في الخارج عندما نسمّيها نقودًا لم نضف لها أيّ شيء مادّي، وإنّما أضفنا لها معنى جديدًا قائمًا بالوهم لتنظيم الحياة الاجتماعية. والدليل على ذلك أنّه بمجرّد الإعراض عن ذلك المفهوم لا وجود للنقود في الخارج، وهذا بخلاف الحقائق المستقلّة عن إدراك المدرك.

المبحث الثالث: مباني نظرية الحقائق التأسيسية عند جون سيرل

أوّلًا: المباني المعرفية

أ ـ مطابق الحقائق التأسيسية (ظرف تحقّق محكيّها)

إنّ مسألة مطابق الاعتباريات واتّصافها بالصدق والكذب، من المسائل التي أولاها سيرل أهمّيةً كبيرةً في بحث الاعتباريات أو الحقائق التأسيسية، بحيث خصّص لها فصلًا مستقلًّا في كتابه "بناء الواقع الاجتماعي". ونجد بأنّنا ملزمون على الإجابة على بعض الأسئلة، وهي: هل لقضيّة "هذه الورقة هي عملة نقدية من فئة عشر دولارات" مطابق في الخارج؟ وهل هي من سنخ القضايا الكاذبة أو الصادقة؟ أو أنّها خارجة بالأساس من مجال القضايا الصادقة والكاذبة؟ وفي حالة صدقها ما الملاك في ذلك؟ وإذا كانت صادقةً هل يكون مطابقها موجودًا في الذهن أم في الخارج أم فيهما معًا؟

يرى سيرل أنّ الإدراكات الحقيقية تكون صادقةً فيما إذا كانت الموجودات في عالم الخارج هي بالفعل على النحو الذي تصوّرها به تلك العبارات. فالتمثيل والوصف الدقيق للعالم الخارجي هو الذي يجعل الكلام صادقًا والقضيّة مطابقة للواقع. فعبارات "الماء مكوّن من الأوكسيجين والهيدروجين"، و"زيد جالس على الكرسي"، و"الشمس طالعة" هي عبارات تكتسب صدقها أو كذبها بناءً على ما يكون عليه الموضوع فعلًا في الخارج، وبناءً على اتّصاف الموضوع بذلك المحمول فعلًا في الخارج أم لا [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص242]، وتسمّى هذه الحالة بنظرية "تطابق الصدق مع الواقع" (La théorie de la vérité par correspondance).

وينطلق سيرل في شرح بيان نظرية "تطابق الصدق مع الواقع" بشرح جذور كلمة "صادق" أو "الصدق". ويشير إلى أنّه لا توجد عبارات صادقة فقط، بل يوجد أصدقاء صادقون،

ومشاعر صادقة، ومؤمنون صادقون، وورثة حقيقيون (يستحقّون الإرث من الناحية القانونية أو الشرعية)، ونحو ذلك. وهذا إنّما يكشف عن التشابه بين أفراد ذلك المصطلح، كتشابه أفراد الأسرة الواحدة.

فصدق تلك الأشياء والعبارات يرجع إلى تصريحها وتنصيصها بدقّة على ما عليه الأشياء في الواقع. فإذا قلت أنّ تلك الأشياء على هذه الشاكلة، فإنّه يمكن أن يعوّل عليها إذا ما كانت تلك الأشياء بالفعل على هذه الشاكلة.

فالصدق في حقيقة الأمر ينطوي على معاني الدقّة والجدارة والثقة وإمكان الاعتماد على الشيء. وقد نسب إلى أرسطو أنّه قال: «أن تقول الحقيقة يعني أن تقول من أيّ ضرب يكون هذا الشيء أو لا يكون». فصدق العبارات هو حدّ يطلق على مقدار ما تنطوي عليه العبارات أو يكتنفها من ثقة. [المصدر السابق، ص 252]

ومن جهة أخرى إذا قمنا بتحليل مصطلح "الواقعة" وجدنا أنّ جذورها ترجع إلى الكلمة اللاتينية "factum"؛ وهي تعني ما قد تمّ عمله أو تحقّق (fait accompli). وبعد اتّضاح مفهوم الصدق والواقعة يوضّح سيرل الصلة بين العبارات الصادقة والواقع. وبعبارة أخرى: ما معيار تطابق القضيّة مع الواقع؟

قلنا سابقًا: إنّ ما يجعل عبارة "الحشيش أخضر" مثلًا صادقةً، هو كونه في الواقع أخضر وحسب. ولكن نحتاج إلى مزيد من الدقّة لتحديد معيار يوضّح هذا التطابق. فالغرض من مفهوم الواقعة هو أن يكون لدينا تصوّر عمّا يقع خارج القضيّة، وبفضل نوع وجود الواقع تكون العبارة صادقةً.

إنّ الوقائع عبارة عن شروط، أي توجد شروط تحكم عالم الواقع. فالعبارة تتطلّب بالضرورة وجود شرط أساسيّ تحدّده لصدقها، وإذا توفّر هذا الشرط الأساسي، سيتوفّر في عالم الواقع هذا الشيء المطلوب الذي تقتضيه الضرورة. فعبارة "الحشيش أخضر" تعبّر عن شرط من الضروري توفّره كي تكون العبارة صادقةً، فصدق العبارة منوط بوجود هذا الشرط في عالم الواقع، وهو كون الحشيش الموجود في الخارج متلبّسًا باللون الأخضر. [المصدر السابق، ص 253 و254]

يعتقد سيرل أنّ معيار الصدق في القضايا هو تكرارها، مع حذف علامات التنصيص. فما يوفّر شروط الصدق للعبارة هو عبارة كذلك. أمّا ما يتوفّر عليه شروط الإذعان في العبارات الإنشائية كالأمر مثلًا، فليس هو تكرار الأمر، إنّما هو عبارة كذلك.

كما يميّز سيرل بين أقسام أفعال الكلام في تحديد معيار الصدق، وذلك بالتمييز بين مضمون أفعال الكلام المختلفة، فعبارة "غادر الغرفة" بوصفها أمرًا غير عبارة "هل ستغادر الغرفة" بوصفها استفهامًا، وهما غير عبارة "ستغادر الغرفة" بوصفها إخبارًا. [المصدر السابق، ص 258]

إلّا أنّها تشترك كلّها في مضمونها، وهو مغادرة الغرفة. فالإذعان في أفعال الأمر يتحقّق عندما يذعن من يتوجّه إليه الفعل لما تأمر به تلك الأفعال؛ لأنّها تأمر بفعله. فالمطابقة في أفعال الأمر هو توافق الواقع مع الكلمات وانطباقه عليها. وهذا على عكس الجمل الإخبارية، فالمطابقة فيها هي توافق القضيّة مع الواقع وانطباقها عليه. فأفعال الأمر والعبارات الإنشائية ككلّ تنطوي على محاولة جعل عالم الواقع يتغيّر ليوافق الكلمات. والشيء نفسه بالنسبة للوعود، ففي الوعود كذلك يوافق عالم الواقع الكلمات؛ لأنّ فكرة الوعد تنطوي على محاولة جعل العالم الخارجي يتغيّر ليوافق الكلمات.

وعليه فإنّ شأن الجمل الإخبارية شأن الجمل الإنشائية من حيث تحقّق التطابق بين ما لمضمون الألفاظ من معنى والواقع، إلّا أنّ الجمل الإخبارية تختصّ بتحقيق التوافق بين مضمون العبارة والواقع المستقلّ عن المدرك، وليس من هدفها أن تغيّر الواقع وتتصرّف فيه. بينما العبارات الإنشائية ـ التي هي مورد بحثنا ـ تجعل الواقع المخترع والمتعلّق بالمدرك، يوافق ما للمضمون من معنى. أي بعد تغيير الواقع، تسعى لتطبيق الواقع على مضمون العبارة. [المصدر السابق، ص 259]

إذن إنّ المفاهيم الاعتبارية تستمدّ التطابق من الفعل نفسه؛ فإنّ الأمر بمغادرة الغرفة الذي يأمر به زيد، ويتلقّاه عمرو في اللحظة (س)، يتمّ الإذعان له وحسب، لو أنّ عمرًا غادر الغرفة في اللحظة (س) بسبب الأمر. وعليه فإنّ الحقائق التأسيسية تحتاج إلى العبارات كي توجد، والعبارات تحتاج إلى تحقّق الحقائق التأسيسية كي تتطابق مع الواقع. فصدق القضايا الاعتبارية يتوقّف على توفّر شروط في عالم الواقع تكون جزءًا ممّا تتكوّن منه العبارة، فما يجعل القضايا الاعتبارية صادقةً هو ما عليه الأشياء في عالم الواقع بما لها من تماثل مع العبارة؛ لا بمعزل عن العبارة. على عكس المفاهيم الحقيقية؛ إذ يكون معيار صدقها هو ما عليه الأشياء في الواقع بمعزل عن العبارة. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 262]

ب ـ اللغة والاعتبار

من بين الأصول المهمّة التي اعتمدها سيرل في بيان ماهية الحقائق التأسيسية هي مسألة اللغة؛ إذ يرى سيرل بأنّ اللغة تعدّ جزءًا مهمًّا في بناء الواقع المؤسّسي، وأنّ الحقائق التأسيسية متقوّمة باللغة. إلّا أنّه يعتقد بأنّ الحقائق الاجتماعية لا تحتاج إلى اللغة؛ لأنّه يمكن أن يكون للمجتمعات الحيوانية كلّ أنواع السلوك التعاوني، وللأطفال كذلك القدرة على التفاعل الاجتماعي، بينما نرى بأنّ هاتين الفئتين لا تمتلك عنصر اللغة. [المصدر السابق، ص 95]

فسيرل يرى بأنّ للّغة خصوصياتٍ ووظائف خاصّةً، ويذكر أربع وظائف مهمّة للّغة، هي:

1ـ الانتقال والارتباط: فإحدى الوظائف الأصلية للّغة انتقال المعلومات والمعاني للمخاطب، وبتعبير سيرل انتقال الحالات القصدية والالتفاتية ومحتواها، فسيرل يرى بأنّ الشيء الذي ينتقل بالأفعال الكلامية هو الحالات القصدية والالتفات. فمثلًا إذا أخبرنا شخصًا بخبر ما، فنحن في حقيقية الأمر ننقل له اعتقادنا. وذهب سيرل إلى أنّ الحالات القصدية هي عبارة عن انعكاس لما هو موجود في الكون، فهي تعكس الكون. مثلًا: اعتقادي بنبوّة المسيح عليه السلام يشير إلى أنّ المسيح نبيّ الله تعالى؛ وعليه فالشيء الذي ينتقل عبر الحالات القصدية والالتفاتية هي مجموعة من المعلومات حول الكون. [Searle, Making the social world, p71]

2ـ الفرق بين الانعكاس (التمثيل العقلي للأشياء) والإبراز: يعتقد سيرل بأنّ الانعكاس والتمثيل العقلي للأشياء هو بيان لوضع أمر من الأمور الموجودة في العالم، بينما الإبراز فهو إظهار حالة باطنية، كالألم والفرح. ويرى سيرل بأنّ التمثيل قابل للصدق والكذب، بينما الإبراز لا يقبل الصدق والكذب. فموضوع سيرل في المباحث المتعلّقة باللغة ومقصوده من الظواهر اللغوية، هو التمثيل اللغوي للأشياء لا الإبراز. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 113 و114]

3ـ المعنى (المعنى المقصود للمتكلّم): هناك فرق بين المعنى الموضوع للجملة والمعنى الذي يريده المتكلّم، فمعنى الجملة أمر واضح. فالجملة لها معنى خاصّ وضعت له، بقطع النظر عن مراد المتكلّم منها، بينما المعنى الذي يريده المتكلّم، هو المعنى الذي أراده من الجملة في ظروف خاصّة، ويعتمد عادةً على مقاصده. وهذا المعنى يمكن أن يكون المعنى الموضوع للجملة أو معنى يختلف عنها. كما في موارد المجاز والاستعارة. [سيرل، العقل، اللغة والمجتمع، ص 206]

4ـ الوضع اللغوي: وهو يتعلّق بشروط انتقال المعنى للمستمع، وأمّا إذا أراد المتكلّم أنّ ينقل المعنى المقصود للمستمع بشكل منظّم ودائمي، فهو يحتاج إلى وسيلة، فهذه الوسيلة يجب أن تكون وضعيةً؛ لأنّه لا توجد وسيلة طبيعية يمكنها نقل المعنى المقصود بشكل دائمي وثابت؛ لأنّ المطلوب هو إمكانية نقل المعاني عن طريق الأفراد بشكل دائمي وثابت. بالإضافة إلى ذلك يجب أن تكون تلك الوسيلة مقبولةً من قبل المجتمع؛ لأنّه في غير هذه الحالة لا يكون الانتقال عموميًّا، ولا يشمل الجميع. وهذه الوسيلة في نظر سيرل تتمثّل في الوضع اللغوي، والذي يستتبع معنى ثابتًا وخاصًّا للجمل. ومن الواضح أنّ المعنى الوضعي يتعلّق بنوع المصطلحات والجمل، وليس جملةً أو مصطلحًا خاصًّا يستعمله شخص معيّن في ظروف خاصّة.

وعليه مع اجتماع العناصر الأربعة السابقة ـ أي مع الاعتراف بهذه المسألة وهي أنّ الإنسان قادر على إظهار كلمات ذات معنى لأجل تمثيل أوضاع العالم، وانتقال تلك المعاني إلى مخاطبه عن طريق الاستفادة من الأوضاع اللغوية ـ يتحقّق الاعتبار. [Searle, Making the social world, p 79]

بالإضافة إلى كلّ ذلك، يرى سيرل بأنّ اللغة تحتوي على عنصر آخر ذاتي لها، وهذا العنصر هو عنصر التكليف، وهو من سنخ الالتزام؛ لأنّه يعتقد بأنّ اللغة يجب أن تتضمّن مجموعةً من الالتزامات الاجتماعية، وهذا ينشأ من خصوصية الاجتماع في انتقال المعنى ووضعية الوسائل اللغوية والالتفاتية وقصدية المعنى المراد من المتكلّم. ويعتقد سيرل بأنّ هذه الخصوصية التي للّغة هي العلّة الأصلية لتشكيل أسس المجتمع الإنساني. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 70]

ويرى سيرل بأنّ مفهوم الالتزام يتألّف من خصوصيتين: الأولى مفهوم التقبّل والتعهّد (Undertaking)، الذي لا يمكن تغييره ونفيه بسهولة، والثانية مفهوم الإلزام (Obligation). فمثلًا عندما أعد شخصًا بأنّي سآتي لزيارته غدًا، فإنّي بذلك أكون أوّلًا قد قبلت هذا الأمر، وهو ذهابي لزيارته، بحيث لا يمكنني تغييره بسهولة، وثانيًا أكون قد أوجدت نوعًا من الإلزام لنفسي. فهاتان الخصوصيتان ـ وهما عدم التغيير والإلزام ـ موجودتان في الأفعال الكلامية. ويعتقد سيرل بأنّ هذا الالتزام أقوى من الالتزام بصدق نفس الاعتقاد (في الجمل الخبرية)؛ لأنّه بالرغم من وجود الالتزام في الجمل الخبرية، إلّا أنّني في الفعل الكلامي بالإضافة إلى الالتزام بمضمون القضيّة؛ فإنّه يجب عليّ إعطاء دليل مقنع إذا كان غير صحيح. كما يجب عليّ كذلك أن ألتزم بالصدق في إظهار تلك القضيّة، وفي حالة كونها كاذبةً فسأكون مسؤولًا عن ذلك. [Searle, Making the social world, p 82]

ويفـرّق سـيرل بـين الحقائـق التأسيسـية اللغويـة والحقائـق التأسيسـية غـير اللغويـة. فالقسـم الأوّل هي عبـارة عـن حقائـق ناشـئة مـن اللغـة، أي أنّ نفـس العنـاصر اللغويـة كالجمـل، تعتـبر حقائـق تأسيسـية؛ لأنّهـا تتعلّـق بمؤسّسـة اللغـة. فلـولا وجـود مؤسّسـة اللغـة لـم يكـن لدينـا شيء باسـم الجملـة والكلمـة. فتقـوّم هـذا القسـم مـن الحقائـق باللغـة واضـح. فـفي حقيقـة الأمـر أنّ الحقائـق التأسيسـية اللغويـة ناتجـة عـن المعـنى. وأمّـا الحقائـق التأسيسـية غـير اللغويـة، فـهي لا تتعلّـق بالمعـنى، بالرغـم مـن أنّهـا متعلّقـة باللغـة، ولكنّهـا ليسـت جـزءًا مـن اللغـة، بـل هي عبـارة عـن حقائـق خارجـة عـن اللغـة، ولكنّهـا توجـد عـن طريـق اللغـة، كالنقـود والزوجيـة والملكيـة. فسـيرل يعتقـد بـأنّ الحقائـق التأسيسـية غـير اللغويـة متقوّمـة باللغـة. [Ibid, p109]

نقد وتحليل

1ـ أنّ سـيرل خلـط بـين تقـوّم الحقائـق التأسيسـية باللغـة وبـين كـون اللغـة واسـطة في إبـراز الحقائـق التأسيسـية، فاللغـة ليـس لهـا إلّا دور المـبرز للحقائـق التأسيسـية؛ لأنّ انتقـال المفاهيـم للغـير لا يتـمّ إلّا عـن طريـق اللغـة، ولكـن قبـل اللغـة تكـون الحقيقـة التأسيسـية تامّـة الاعتبـار، وتحتـاج فقـط إلى الألفـاظ أو الرمـوز لإبرازهـا وانتقـال محتواهـا للغـير، وهـذا لا يجعـل مـن اللغـة مقوّمًـا لهـا.

2ـ أنّ اعتقـاد سـيرل بـأنّ الحقائـق التأسيسـية متقوّمـة باللغـة وفي الوقـت نفسـه قـوله بـأنّ الحقائـق التأسيسـيّة لا تحتـاج إلى اللغـة تناقـض صريـح؛ لأنّ الـشيء ينتـفي بانتفـاء مقوّماتـه، وهـذا أمـر واضـح.

3ـ تقـوّم الحقائـق التأسيسـية باللغـة يوقعنـا في إشـكالية الدور؛ لأنّ اللغـة أمـر اعتبـاري وتحتـاج إلى الاعتبـار، فـإذا كان الاعتبـار متقوّمًـا باللغـة، فسـنقع في الدور الصريـح.

ثانيًا: المباني الوجودية

أ ـ الإرادة

يعتقـد سـيرل بـأنّ الإرادة تعـدّ مـن المكوّنـات الأصليـة في صنـع الفعـل الإنسـاني، ولكنّـه تـردّد في بـادئ الأمـر مـن كـون الإنسـان مريـدًا أو مجبـورًا. وهـو ينطلـق مـن تحليـل الأسـباب والعلـل الكونيـة للحـوادث الـتي توجـد في العالـم ويحـاول تعميـم ذلـك لعمليـة تحقـق الإرادة في الإنسـان.

فسيرل يرى بأنّ كلّ حادثة توجد في هذا العالم لها من وراء تحقّقها أسباب وعلل كافية توجد في سياق معيّن، تقوم بتحديد مسار تلك الحادثة. فجميع حوادث العالم لها علّتها الخاصّة، مثلًا إذا تركت القلم الذي في يدي فسيسقط على الطاولة؛ لأنّ علّته التامّة حاضرة، وهي كافية لأن تحدّد مساره في السقوط ـ أي أنّه يجب أن يسقط نحو الأسفل ـ فما هو صادق بخصوص القلم، يكون صادقًا كذلك بالنسبة إلى كلّ حادثة في هذا العالم. [سيرل، العقل، ص 173]

ومن جهة أخرى، نلاحظ بالبداهة أنّنا نمتلك الإرادة والاختيار التامّ في القيام بأفعالنا الإرادية، وهذا جزء من تجاربنا الواعية. في الوقت نفسه نرى بأنّ مسبّبات اتّخاذ القرار ومسبّبات الفعل تكون إجباريةً، فهي ليست بإرادتنا، فالشيء الذي يخضع لإرادتنا هو اتّخاذ القرار بشرب الماء والقيام بفعل الشرب، ولكن توجد هناك علل وأسباب أدّت إلى اتّخاذنا ذلك القرار لا تخضع لاختيارنا، بل نحن مجبورون عليها.

وعليه، نلاحظ أنّنا بين نقيضين: حرّية الإرادة وعدم حرّية الإرادة، وبعبارة أخرى إنّ الإنسان واقع بين الاختيار والجبر، وهذا تناقض صريح. مثلًا عندما أواجه أمامي في المطعم عدّة أطباق، ويكون هناك بدائل مفتوحة أمامي، فإذا أخترت منها طبقًا يناسبني، فسأواجه مشكلة تداخل كوني مختارًا في انتخاب الطبق وفي الوقت نفسه أكون مجبورًا للأسباب التي أدّت بي لذلك الاختيار.

إنّ سيرل لا يقبل التوافقية كطريق حلّ لهذه المشكلة، وهي أنّ الإنسان حرّ ومجبور في الوقت نفسه. وأوّل من طرح هذه الفكرة كما يعتقد سيرل هو ويليام جيمز (William James). ويرى المذهب التوافقي أنّ هذا الجمع لا يؤدّي إلى التناقض؛ لأنّ الحرّية لا تتعارض مع العلل والأسباب، بل تتعارض مع الإكراه والجبر. فالقول بأنّ الفعل حرّ لا يعني أنّه لا توجد له أسباب وعلل كافية سابقة عليه. [المصدر السابق، ص 175]

إنّ مشكلة سيرل لا تحلّ عن طريق التوافقية؛ لأنّه يركّز على كون قراراتنا وأفعالنا مسبوقةً بعلل تامّة تحدّد حدوثها. وبعبارة أخرى إنّ أفعالنا مسبوقة بمبادئ تكون هي العلّة التامّة في حدوثها، فهي محدّدة مسبقًا، كسقوط القلم من يدي على الطاولة؛ لأنّ حركته محدّدة بقوّة الجاذبية وقوًى أخرى تؤثّر فيه.

وقد عالج سيرل مشكلة تعارض كون الإنسان مريدًا ومجبورًا في الوقت نفسه من جهتين: جهة نيروبيولوجية (Neurobiologie) (علم السلوك العصبي)، وجهة سايكولوجية (Psychologie) (علم النفس). [المصدر السابق، ص 177 و178]

فمن الجهة السايكولوجية يرى سيرل بأنّ بعض حالاتنا النفسية تكون هي السبب الكافي لتحديد جميع أفعالنا الإختيارية. فبعض معتقداتنا وآمالنا ومخاوفنا وإدراكنا للواجبات والإلزامات، تكون هي السبب الكافي لتحديد جميع قراراتنا وأفعالنا.

إنّ الشخص المدمن على الخمر أو المخدّرات لا يتمتّع بالحرّية النفسية؛ لأنّه لا يستطيع السيطرة على نفسه. ونفس الشيء بالنسبة لقراري بالتصويت على زيد كمرشّح للانتخابات الرئاسية، فهو قرار محدّد من قبل عوامل نفسية مسبقة. ولكنّ التجربة الحسّيّة الدقيقة تدعم الرأي الذي يقول إنّنا نمتلك حرّيةً نفسيةً في الكثير من الأفعال. فمثلًا إذا قرّرت الآن ما هي الوجبة التي أتناولها في الإفطار، أو في أيّ مكان سأقضي وقتي بعد الظهر، فهنا بالرغم من وجود أسباب نفسية تؤثّر على قراراتنا، ولكنّها لا تجبرنا على تحديد مسار هذه القرارات، وهذا خلافًا لمثال المدمن على الخمر أو المخدرات. [المصدر السابق، ص 179و180]

وأمّا من الناحية النيروبيولوجية، يعتقد سيرل حتّى مع فرض أنّ لدينا إرادةً حرّةً على المستوى النفسي، إلاّ أنّها ليست كافيةً لإثبات حرّية أفعال الإنسان؛ لأنّه توجد مرحلة قبل السايكولوجيا هي التي تحدّد أفعال الإنسان، وهي النيروبيولوجيا. فإنّ حالات الدماغ وحركة الأعصاب الموجودة فيه، تحدّد جميع حالات الإنسان النفسية الواعية منها وغير الواعية؛ لأنّ العلم التجريبي اكتشف أنّ أيّ تغيير يحدث في الحالات النفسية يرجع إلى تغيير في عمل الدماغ وشبكة الأعصاب الموجودة فيه. وهذا يرجع إلى أنّ الحالات النفسية هي عبارة عن صفات توجد في مرتبة أعلى من الدماغ؛ ولذلك لا توجد مجموعتان مستقلّتان من الأسباب نفسية ونيروبيولوجية، بل النفسي ليس سوى النيروبيولوجي، ولكنّه يوصف على مستوى أعلى. [المصدر السابق، ص 181]

ويعتقد سيرل أنّ التفسير الميكانيكي للدماغ يؤدّي إلى الجبر، أي أنّه إذا اعتبرنا بأنّ الدماغ عبارة عن آلة كبقية الآلات الميكانيكية، مثل محرّك السيّارة ومولّدات الكهرباء وغيرها، فإنّ الإنسان سوف يكون مجبورًا، وتكون أفعاله وقراراته محدّدة. وأمّا إذا فسّرنا الدماغ تفسيرًا كمّيًّا، أي إذا اعتبرنا الحركات النيروبيولوجية علّةً ناقصةً في حدوث الفعل، وبعبارة أخرى، أن تكون تلك الحركات جزء العلّة وليست علّةً تامّةً، فإنّ الإنسان حينئذٍ سوف يكون مختارًا في أفعاله وقراراته؛ لأنّ كلّ حالة من حالات الجهاز العصبي تكون مسؤولةً جزئيًّا فقط عن الحالة التي تأتي بعدها. وعليه فإنّ الإرادة الحرّة تكون ممكنةً بتفسيرنا

للوعي تفسيرًا كمّيًّا. ولكنّ سيرل يميل أكثر إلى الفرضية الأولى، أي فرضية كون الإنسان مجبورًا في أفعاله. [المصدر السابق، ص 184 و185]

إنّ سيرل بعد كلّ هذه التحليلات، بقي يتخبّط في الاعتقاد بين كون الإنسان مجبورًا من الناحية النيروبيولوجية أو حرًّا من الناحية السايكولوجية؛ لأنّه يلاحظ بالبداهة أنّ لنا قناعةً بحرّيّتنا الشخصية، وهو أمر لا يمكن إنكاره؛ لأنّنا لا نستطيع القيام بأفعالنا إلّا إذا افترضنا الحرّيّة (الاختيار). [المصدر السابق، ص 186]

تحليل ونقد

1ـ صحيح أنّ لكلّ حادثة في هذا العالم علّةً خاصّةً. وبالنسبة للإرادة فهي معلولة للعلم وتصوّر أطراف الفعل، والعلم وإن كان معلولًا للمبادئ العالية، ولكنّ كلّ طرف من هذه الأطراف يمثّل جزء العلّة وليس العلّة التامّة؛ حتّى يكون الإنسان مجبورًا. فالنفس هي وعاء معدّ لقبول مختلف الصور من العقل الفعّال، وظرف النفس واستعدادها لقبول الصور يختلف باختلاف شدّة النفس وضعفها، ويتأثّر حتّى بالأسباب الوراثية، إلّا أنّ كلّ ذلك يعدّ من العلل المعدّة والعلل الناقصة، وهي لا تؤثّر في اختيار الإنسان.

2ـ أنّ الأسباب التي تكلّم عنها سيرل بوصفها عاملًا محدّدًا لجهة الفعل، هي في الحقيقة بمنزلة العامل الذي يمارس الإكراه على الإنسان في القيام بالفعل، والإكراه غير كون الإنسان مجبورًا على مستوى مبادئ الفعل. فالإنسان إذا أكره على القيام بفعل ما، فإنّه لا يريد حقيقةً القيام به، ولكنّ العامل المُكرِه يضطرّه للقيام به. وهنا يقوم الإنسان بالفعل بإرادته، ولكنّه يكره ترجيح ذلك الجانب للفعل؛ لأنّه يذعن بفساده، وهذا لا يتنافى مع كونه مختارًا.

3ـ أنّ تمييز سيرل بين بعض الأفعال النفسانية للإنسان ـ باعتبار أنّ الإنسان يكون في بعضها مجبورًا كالإدمان على الخمر، وفي بعضها الآخر يكون مختارًا كاختيار أحد أطباق الطعام في المطعم ـ غير صحيح، وترجيح بلا مرجّح؛ لأنّ الإنسان في جميعها لا يفقد اختياره، حتّى في تلك الأفعال التي يكون مكرهًا على القيام بها، كما أشرنا له سابقًا؛ لأنّ الإكراه ينشأ أحيانًا من عامل خارجي، وأحيانًا أخرى ينشأ من عامل داخلي. بالنسبة للعامل الخارجي أشرنا له سابقًا، وأمّا بالنسبة للعامل الداخلي وهو تلك الأحاسيس والأفكار والصور

المترسّخة في الإنسان التي تمارس دور المعدّ في صدور الفعل، فإنّها كذلك ليست علّةً تامّةً في صدور الفعل، ولكنّها تمارس دور المُكرِه الباطني على الإنسان، حتّى يرى نفسه وكأنّه مجبور على القيام بالفعل، ولكنّه بمجرّد تصحيح مساره الفكري وتقوية إرادته في مواجهتها، فإنّه سرعان ما يلتفت إلى أنّ له القدرة على مخالفتها، وهذا ما يقوم به المختصّون في مراكز ترك الإدمان.

4ـ يعتقد سيرل بأنّه لا توجد عندنا مجموعتان مستقلّتان من الأسباب والعلل نفسية ونيروبيولوجية، بل النفسي هو مستوى أعلى للنيروبيولوجي [المصدر السابق، ص181]، وهذا يشير إلى عدم اعتقاد سيرل بتجرّد النفس، وهو الأمر الذي يجعل من الإنسان موجودًا مجبورًا في أفعاله.

5ـ إذا كان الإنسان مجبورًا فلا معنى لقدرته على إيجاد الاعتبار؛ لأنّ صنع الحقائق التأسيسية يتوقّف على كون الإنسان مختارًا، أي له القدرة على ترجيح أحد طرفي الفعل. فالحقائق التأسيسية تتغيّر من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، كما قد تكون في الكثير من الأحيان في درجة عالية من التعقيد، وهذا ما يتطلّب كون الإنسان مختارًا، ليتمكن من مواكبة تطوّرات الزمان.

ثالثًا: المباني الأنثروبولوجية

أ ـ الطبيعة البيولوجية

يعدّ سيرل من العلماء الطبيعيين[2]، أي أنّه يعتقد بأنّ الكون موجود مادّي، وكلّ ما هو موجود فيه يمكن تفسيره وفق الوقائع المادّية والمصطلحات والنتائج المأخوذة من العلوم الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء. إلّا أنّه يعتقد بأنّه لا يمكن التسليم والقطع بجميع نتائج هذه العلوم، ما عدا نظريتين في العلوم الطبيعية، أي النظرية الذرّية للمادّة ونظرية التطوّر البيولوجي (تكامل الأنواع)، فهو يعتقد بأنّهما نظريتان قطعيتان لا يمكن التشكيك فيهما، بحيث يعدّ من لا يعرف هاتين النظريتن شخصًا غير متعلّم في المجتمع الذي نعيش فيه. ويعتقد سيرل بأنّ هاتين النظريتين يجب أن نتّخذهما مبنى لنا في تحليل الواقع، بحيث يجب أن تتناسب كلّ نظرية معهما حتّى تكون نظريةً صحيحةً.

2- الفلسفة الطبيعية أو فلسفة الطبيعة (من الكلمة اللاتينية: philosophia naturalis)، هي الدراسة الفلسفية للطبيعة والفضاء الكوني المادّي التي كانت سائدةً قبل تطوّر العلوم الحديثة، وتعدّ المقدّمة الأولى للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء.

ويرى سيرل أنّنا نعيش في عالم مليء بذرّات مادّية تسري داخل حقول الطاقة، بحيث يعيّن حدود تلك الأنظمة مجموعة من العلاقات السببية، كالجبال والكواكب ومركّبات الماء (H_2O) والأنهار والبلّورات والإنسان وغيرها، وبعض هذه الأنظمة الحيّة تشتمل على ذرّات الكربون ويدخل فيها الهيدروجين والنيتروجين والأوكسيجين بكثافة. وتتطوّر هذه الأنظمة الحيّة عن طريق الانتخاب الطبيعي، وبعض منها يطوّر أنواعًا من الأبنية ذات الأنسجة الخلوية، كالأجهزة العصبيّة التي تكون سببًا في الإدراك العقلي والحفاظ على سلامته. فهذه الحقائق وأمثالها الناظرة إلى نظام العالم المادّي والتي تقدّم من قبل العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء تسمّى بالحقائق العارية أو الحقائق الطبيعية (Brute facts). ويسمّي سيرل هذا التصوير للعالم بـ "أنطولوجيا الوجود الأكبر"؛ وذلك لأنّ جميع الأنطلوجيات الأخرى يجب أن تقع بداخله وتعرّف وتبيّن على أساسه. [Searle, The Construction of social reality, p 6]

لذلك فسيرل يرى بأنّ جميع الحقائق قائمة على الحقائق الطبيعية، وتنشأ منها بطرق مختلفة، فنحن نعيش في عالم يتكوّن تمامًا من مركّبات مادّية تتحرّك في مسارات داخل شبكة من العلاقات تربط بين حقول الطاقة، اتسق بعضها داخل أنظمة، وبعض هذه الأنظمة أجهزة كائنات حيّة، وبعض من هذه الأجهزة قد نشأ عنها وتطوّر الإدراك العقلي، ومع الوعي يأتي القصد العقلي وتوجّهه لفهم الوجود وتمثيله والتعبير عنه، أو فلنقل قدرة الكائن الحيّ على أن يمثّل الوجود فيتصوّره ويصفه ويفهم حالاته والأمور الموجودة فيه. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 39]

فالمراحل الفيزيوكيميائية[3] على مستوى الأجزاء والذرّة وما تحت الذرّة تكون سببًا في بروز أنظمة عصبية داخل الدماغ، ومن خلال هذه الأنظمة تنشأ حالات نفسانية كالاعتقاد والميل والتوجّه. كما أنّ الظواهر النفسانية الفردية بدورها تكون سببًا لبروز ظواهر نفسانية جماعية، ثمّ يمكن أن تنشأ من خلال هذه الظواهر الجماعية مؤسّسات اجتماعية؛ كالدول والحكومات والشركات وغيرها. [Searle, Making the social world, p 4]

إنّ سيرل يعتقد بأنّ كلًّا من المادّيين (الذين ينكرون وجود ظواهر نفسانية غير قابلة للتحويل إلى ظواهر مادّية) وأتباع المذهب الثنوي (الذين يؤكّدون على وجود الظواهر غير

3- الفيزياء الكيميائية (بالإنجليزية: Chemical physics) هي فرع من فروع الكيمياء والفيزياء ويدرس الظواهر الفيزيوكيميائية باستخدام فيزياء ذرّية وجزيئية وبصرية وفيزياء الموادّ المكثفة، أي أنّه فرع العلوم الذي يدرس العمليات الكيميائية من وجهة نظر فيزيائية.

المادّيـة) على خطـإ! وكلّ واحـد مـن هاتـين النظريتـين يشـتمل على جـزء مـن الحقيقيـة، فاعتقـاد المادّيـين بـأنّ العالـم متشـكّل مـن ظواهـر مادّيـة على حـقّ، كمـا أنّ اعتقـاد المذهـب الثنـوي بـأنّ العالـم يشـتمل على ظواهـر نفسـانية غـير قابـل للتحـوّل كذلـك اعتقـاد حـقّ [سـيرل، بنـاء الواقـع الاجتماعي، ص 29]، إلّا أنّـه لا يوجـد تعـدّد في العوالـم، بـل هـو عالـم مـادّي واحـد، على مسـتويات مختلفـة.

فسـيرل يـرى بأنّـه لا يوجـد تعـارض بـين هاتـين النظريتـين، ويعتقـد بـأنّ هضـم هـذا المطلـب يعتمـد على تصحيـح تصوّرنـا حـول المفاهيـم "النفسـانية" و"المادّيـة"، ويسـمّي طريقـة الحـلّ هـذه بـ"الطبيعـة البيولوجيـة" (Naturalisme biologique)، ويعرضهـا على شـكل قضيّتـين: [انظـر: سرل، ذهـن، مخـز و علـم، ص 27 - 34]

القضيّـة الأولى: جميـع الظواهـر النفسـانية كالإحساسـات والعواطـف والحـالات النفسـانية والأفـكار معلولـة لمراحـل مادّيـة كيميائيـة موجـودة في الدمـاغ.

مثـلًا: الألـم الناشـئ مـن مجموعـة مـن الحـوادث، يبـدأ بالانتشـار في جميـع أعصـاب البـشرة وتنتـهي مسـيرته في مناطـق حسّاسـة مـن الدمـاغ؛ لهـذا يمكننـا أن نـدّعي بـأنّ نظـام الأعصـاب المركـزي الواقـع في جـزء مـن الدمـاغ يعـدّ كافيًـا لإيجـاد الألـم، ولا يحتـاج إلى أمـور خارجيـة. والشـاهد عليـه هـو الألـم الخيـالي الذي يحـسّ بـه مـن قطعـت يـده، فإنّـه يبـقى يحـسّ بالألـم بالرغـم مـن أنّ يـده انفصلـت عـن بدنـه.

القضيّة الثانية: الظواهر النفسانية ليست إلّا الخصوصيات المتواجدة في أعلى الدماغ.

إذا كان الدمـاغ علّـةً للظواهـر النفسـانية، فكيـف يمكـن أن تكـون هـذه الظواهـر مـن خصوصيـات الدمـاغ؟ ألا يسـتلزم هـذا كـون الدمـاغ علّـةً لآثـاره، ونتيجـة ذلك كونـه علّةً لنفسـه؟

يقـول سـيرل في الجـواب على هـذا السـؤال بأنّـه لا يوجـد أيّ تعـارض بـين هاتـين القضيّتـين، والإشـكال المذكـور ناشـئ مـن الإدراك الصحيـح لمفهـوم العلّيـة. فهـؤلاء الأشـخاص يظنّـون بأنّـه كلّمـا أوجـد (أ) (ب)، يجـب أن يكـون (أ) مسـتقلًّا في الوجـود عـن (ب)، بحيـث يكـون (أ) هـو العلّـة و(ب) هي المعلـول. وهـذا التصـوّر السـاذج عـن أصـل العلّيـة وتعميمـه لجميـع المـوارد جعـل بعضهـم يقـع في تيّـار المذهـب الثنـوي، الذي يـرى أنّ الحـوادث الـتي تقـع في حـيّز الأمـور المادّيـة يمكـن أن تظهـر في حـيّز الحـوادث غـير المادّيـة (الأمـور النفسـانية). ويـرى سـيرل أنّ هـذه العقيدة خاطئـة، وطريـق حلّهـا هـو عـرض تعريـف دقيـق حـول أصـل العلّيـة.

وفي التبيين الدقيق لأصل العلّية، يعتقد سيرل بأنّ خصوصيات الذهن معلولة لمراحل وتصرّفات العناصر الجزئية للدماغ، أي الخلايا العصبية. فسيرل يرى أنّ قبول القضيّتين 1 و2 يتم بسهولة بالنسبة لميعان الماء أو جماد الطاولة. فنحن نقبل بأنّ هذه الخصوصيات هي معلولة لتصرّفات عناصر السطح الجزئي، وفي الوقت نفسه نعلم بأنّها خصوصيات السطح الأعلى للنظام الدماغي، والمصنوعة من العناصر الجزئية، وهي متحقّقة في ذلك النظام. ونفس الشيء بالنسبة للحالات النفسانية، فهي بنفس هذا المعنى معلولة لمراحل الدماغ في سطح الخلايا العصبية (النورونات) (Neurones)، وفي الوقت نفسه تكون موجودةً في الدماغ وتعدّ من خصوصياته.

لذلك فإنّ الوعي والعطش والألم وبقيّة الظواهر النفسانية ليست أمورًا موهومةً، وغير قابلة للحذف أو التحوّل إلى الأمور المادّية، بل هي موجودة حقيقة [Searle, Expression and Meaning, p 327]، ولكن ليس بعنوان ظواهر غير مادّية موجودة بشكل مستقلّ عن الدماغ، بل هي من أوصاف الدماغ وخصوصياته؛ فالدماغ هو الذي يتّصف بالوعي أو بوصف العطش أو الألم. وفي الوقت نفسه نجد بأنّ هذه الظواهر معلولة للدماغ نفسه، أي أن يكون وصف وحيثية خاصّة من الدماغ علّةً لوصف وحيثية أخرى فيه، وخصوصيات السطح الجزئي للعلّة هي خصوصيات السطح الكلّي.

يقول سيرل: «الآن تقرؤون هذه العبارة "أنّ الأفكار العابرة في ذهنكم"؛ هي كذلك عبارة عن مراحل عصبية بيولوجية في الدماغ[4]، ولهذه المراحل خصوصيات منطقية، شبيهة بالخصوصيات المنطقية للفكر؛ لأنّها ليست إلّا وجود عصبي بيولوجي (بيوعصبي)[5] لتلك الأفكار» [Searle, Making the social world, p42].

إنّ تركيز سيرل على هذا المبنى وتسميته بـ "البيولوجية"، يرجع إلى اعتقاده بأنّ الظواهر النفسانية تبيّن على أساس المراحل العصبية الموجودة في الدماغ، والتي تعدّ مراحل بيولوجيةً، وأمّا أنّه أضاف له وصف "الطبيعية"، فلأنّه يعتقد بأنّ الظواهر النفسانية هي أمور طبيعية

4- المقصود من الظواهر والمراحل البيولوجية، هي الظواهر المادّية الكيميائية المتعلّقة بالموجود الحيّ.

5- العلوم العصبية (أو البيولوجيا العصبية): هي دراسة علمية للجهاز العصبي، وفرع متداخل التخصّصات لعلم الأحياء، يجمع بين الفسيولوجيا العصبية، والتشريح العصبي، والعلوم العصبية الجزيئية، والنماء العصبي، والعلوم العصبية الخلوية والحاسوبية، وعلم النفس لفهم الخصائص الأساسية والطارئة على العصبونات وشبكاتها الحيوية. وصف إريك كانديل فهم الأساس البيولوجي للتعلّم والذاكرة والسلوك والإدراك والوعي بأنه "التحدّي النهائي" لعلم الأحياء.

كالهضم وإنجاب الأطفال والبناء الضوئي[6]، ويتمّ تبيينها بالطريقة نفسها التي تبيّن بها الظواهر الطبيعية. [Searle, Biological Naturalism, p 329]

تحليل ونقد

إنّ الطبيعة البيولوجية التي أشار إليها سيرل تواجه عدّة إشكالات، من بينها:

1ـ أنّ سيرل بقبوله للفرق بين خصوصيات الأجزاء والكلّ، وكون خصوصيات الكلّ معلولةً لخصوصيات الأجزاء في الظواهر الطبيعية، يكون قد أسرى خواصّ الظواهر الطبيعية إلى الظواهر النفسانية. بينما هذا النوع من التبيين غير صادق حتّى في الظواهر الطبيعية، فمثلًا لا يمكن اعتبار ميعان الماء معلولًا للعلاقات بين جزيئاته (H_2O)، لأنّ جزيئات الماء نفسها ليست مائعةً؛ ولذلك لا يمكن أن تكون علّةً لميعانه. فالعلّة يجب أن تكون واجدةً لخصوصيات المعلول. [مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج 2، ص 68]

2ـ قول سيرل بأنّ الظواهر النفسية توجد في الدماغ، والدماغ هو الذي يحسّ بالجوع والعطش والألم، لا تخلو من إشكال؛ لأنّه يمكنني القول بأنّي أحسّ بالعطش لأنّ حلقي جافٌّ، ولكن لا يمكنني القول بأنّي أحسّ بالعطش في حلقي، أو أنّ حلقي عطشان. فالحقّ أنّه أنا الذي أحسّ بالعطش؛ لأنّ الحلق لا يحسّ بشيء، إنّما أنا الذي أشعر بذلك الإحساس. ومع التنزّل إذا أردنا تعيين مكان للإحساس بالعطش أو الجوع أو الألم، فالأولى أن يكون الإحساس بالجوع في المعدّة لا في الدماغ، والإحساس بالألم في الرجل لا في الدماغ كذلك.

3ـ الإشكال الأساسي الذي يواجهه سيرل هو اعتقاده بأنّ الظواهر النفسانية هي أمور طبيعية ومادّية، بينما الظواهر المادّية لها خصوصيات لا يمكن نسبتها إلى الأمور النفسانية. فمثلا الاعتقادات والإحساسات والميول ليس لها جرم ولا وزن؛ لأنّ الشخص الذي يضيف إلى اعتقاداته اعتقاداتٍ جديدةً يومًا بعد يوم لا يزيد ذلك في وزنه وحجمه. كما أنّ من خصوصيات الأشياء المادّية الجهة، فيمكن أن أقول إنّ هذه الشجرة توجد في جهة اليمين أو اليسار، وأمّا الظواهر النفسانية فلا يمكن أن تكون لها جهة. والأمور النفسانية لا تقبل القسمة خلافًا للأمور المادّية. بالإضافة إلى إشكالات أخرى لا يسعها هذا البحث. [الطباطبائي، اصول فلسفه و روش رئاليسم، ج 1، ص 94 و95]

6- البناء الضوئي (Photosynthèses): هي عملية تقوم من خلالها النباتات وبعض الكائنات الحية بتحويل الطاقة الضوئية من الشمس إلى الطاقة الكيميائية للغذاء.

4ـ من جهة نجد بأنّ سيرل يعترف بأنّ المراحل المادّية على مستوى الأجزاء هي نفسها الظواهر النفسانية على مستوًى آخر. وهذا ما يشير إلى نوع من الوحدة والعينية بين الأمور المادّية والظواهر النفسانية، إذ يقول: «إنّ الأفكار التي تمرّ في أذهانكم موجودة كذلك في مراحل عصبية في الدماغ» [Searle, Making the social world, p 42]. ومن جهة أخرى نجد بأنّه ينتقد بشدّة مواقف الذين ينزلون الظواهر النفسانية إلى مستوى الأمور المادّية [سيرل، العقل، ص 228]، بينما نلاحظ بأنّ المطلب الأوّل متلازم مع المطلب الثاني؛ وعليه فقبول أحدهما وردّ الآخر يوجب الوقوع في التناقض.

5ـ أنّ طرح سيرل للسؤال القائل: كيف يمكن لعالم مادّي أن توجد فيه ظواهر غير مادّية كالإدراك والإرادة والقصد وكذلك الحقائق الاجتماعية والتأسيسية؟ [المصدر السابق، ص 188] غير صحيح؛ لأنّ العالم المادّي لا يمكن أن توجد فيه حقائق غير مادّية حتّى يطرح هذا السؤال؛ وذلك لأنّ غير المادّي لو كان موجودًا في العالم المادّي، لما كان العالم المادّي مادّيًّا، هذا خلف. ولو كانت فيه حقائق غير مادّية، لانقسم إلى عالمين لا عالم واحد، وهو ما ينفيه جون سيرل، فالعالم المادّي لا يمكن أن توجد فيه حقائق غير مادّية.

6ـ أنّ النشاطات الدماغية تعدّ أمورًا معدّةً للنشطات النفسية؛ كالإدراك، وليست علّةً لها. فمثلًا سلامة حركة الأعصاب في الدماغ تسهّل عملية الإدراك والتركيز، واختلالها يوجد صعوبةً في الفهم والإدراك.

ب ـ نظرية القصد العقلي (الالتفات) (Intentionality)

يطلق الفلاسفة مصطلح "القصد" على أحد أوصاف الذهن، والذي بواسطته يمكن للذهن التوجّه والالتفات إلى الأشياء أو الأوضاع المحيطة به والموضوعات المرتبطة بها أو الأمور الناشئة عنها. وتشمل هذه الحالات الاعتقادات والرغبات، والمقاصد والإدراكات والحبّ والبغض، والخوف والآمال.

وهذا يدلّ على أنّ مقصود سيرل من القصدية غير القصد المتعارف عندنا في الفلسفة، والذي يعني الإرادة. فمقصود سيرل من نظرية القصد العقلي هو الالتفات إلى الفعل وغايته؛ إذ يقول: «فالقصدية، إذا شئنا التكرار، هي المصطلح العامّ لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجّه بها العقل، أو يتعلّق، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم» [سيرل، العقل اللغة والمجتمع، ص 128].

وبعبارة أخرى إنّ الحيثية القصدية هي عبارة عن خصوصية في الذهن تفسّر حالاتٍ ذهنيةً تتعلّق بشيء ما، مثلًا الاعتقاد أو الأمل يجب أن يكون اعتقادًا وأملًا بشيء خاصّ[7]، فلا يمكن لهذه الأمور أن تكون من دون متعلّق، هذا بالنسبة للقصد العقلي الفردي.

إلّا أنّ سيرل تعمّق في البحث أكثر من ذلك؛ إذ انطلق من القصد العقلي الفردي ليصل إلى القصد العقلي الجماعي، والذي يعدّه أحد ركائز الاعتباريات الاجتماعية. فجميع البشر تشترك في هذه النقطة وهي القدرة على التوجّه والالتفات جماعيًّا نحو فهم الأشياء وتمثيلها والتعبير عنها، فهم يشتركون في حالات من القصد العقلي كالمعتقدات والرغبات والمقاصد. فمثلًا فريق كرة القدم يبدأ في مباراة كرة القدم بالتفات وتوجّه جماعي، فالمدافع مثلًا يحاول كسر هجوم الخصم بوصفه جزءًا من تنفيذ خطّ الدفاع، وليس لأجل هدف شخصي. [سيرل، بناء الواقع الاجتماعي، ص 55]

فسيرل يعتقد بوجود حيثية التفاتية في التصرّفات الجماعية، كما أنّه يرى بأنّ هذه الخصوصية لا تنحصر في نوع الإنسان بل تشمل الحيوان كذلك، فالكثير من الحيوانات التي تهتمّ بالعمل الجماعي تستخدم الالتفات الجماعي لأداء وظائفها، كمجتمع النحل والنمل.

فالالتفات الجماعي يعدّ أساس المجتمع الإنساني والحيواني. فالبشر يشبهون الكثير من المجتمعات الحيوانية المستعدّة في الالتفات الجماعي، وهذا يعني أنّ الحيوانات كذلك لها استعداد لتشكيل المجتمعات. [المصدر السابق، ص 71 و72]

ومن هنا عدّ سيرل الواقع الإجتماعي غير منحصر في البشر، بل يشمل جميع الوقائع التي يشترك فيها شخصان على الأقلّ، يشتركان في حيثية القصد الجماعي. [المصدر السابق، ص 55]

إلّا أنّه يجب التنويه إلى أنّ للواقع الاجتماعي الذي يصنعه الحيوان وجودًا بسيطًا وساذجًا مقارنةً مع الإنسان، بالرغم من أنّ مقصودنا في هذا البحث هو القصد الجماعي الذي يصنعه الإنسان؛ لأنّ البشر يمكنه إيجاد حقائق اجتماعية خاصّة في سطح أعلى من الحيوانات، والتي يطلق عليها سيرل "الحقائق التأسيسيّة"؛ كالتحدث مع بعض وامتلاك الأشياء والزواج وتشكيل الحكومات إلى غير ذلك. ففي جميع الأفعال الجماعية إذا قام فرد بفعل ما، فمن الضروري أن تكون له حيثية قصدية جماعية، أي أنّ الفرد يقوم بالعمل الجماعي والمشترك باعتباره جزءًا من تلك الجماعة.

7- أي أن يلتفت أوّلًا إلى وجود ذلك الشيء وحدوده وخصوصياته ومن ثمّ يعتقد به، أو يأمل في الوصول إليه.

تحليل وعرض

يعتقد سيرل بأنّ العمل القصدي مركّب من القصد عند العمل والحركة البدنية، ويعتقد أنّ القصد عند العمل علّة للحركة البدنية. وإذا كان القصد عند العمل علّةً للحركة البدنية، ومجموعهما هو الذي يشكّل العمل، فما علّة تحقّق نفس العمل؟ إذا كان القصد السابق موجودًا، يرى سيرل أنّ علّة العمل هو نفس ذلك القصد، ولكنّه يعتقد بأنّ القصد السابق ليس ضروريًّا لتحقّق العمل؛ لأنّ الكثير من الأعمال القصدية تتحقّق من دون القصد السابق، والسؤال المطروح هنا هو: ما علّة تحقّق العمل في الموارد التي لا يتحقّق فيها القصد السابق؟

إنّ سيرل لم يتعرّض لهذه المسألة، وتركها من دون جواب، وهذا ما يستوجب نقصًا في نظريته؛ لأنّ الشيء الذي أدّى به إلى توضيح العمل القصدي هو أنّ العمل القصدي أساس لتشكيل المجتمع والحقائق التأسيسية. وعليه فإنّ التبيين الكامل للعمل القصدي الذي يكون قسم منه متعلّقًا بمعرفة علل ذلك العمل القصدي ومبانيه يؤدّي إلى التبيين الكامل والتحليل الدقيق للمجتمع والحقائق المتعلّقة به.

الخاتمة

نخرج في هذا التحقيق بمجموعة من النتائج، حيث نلخّصها على النحو التالي:

1ـ أولى جون سيرل مسألة الحقائق التأسيسية أو الاعتباريات الاجتماعية أهمّيةً كبيرةً، وقام بتوظيفها في مشروعه الفكري، فأبحاثه تؤكّد على مسألة الاعتبار، بعنوان كونها الركيزة الأساسية في الحياة الاجتماعية.

2ـ مع تتبّعنا لمباحث سيرل حول مسألة الحقائق التأسيسية، نلاحظ بأنّ هناك سؤالًا مهمًّا شغله ذهنه، واعتبره من أبرز الأسئلة في فلسفة العالم المعاصر. والسؤال هو كيف يمكن أن توجد في عالم مليء بالذرّات المادّية ـ تتحرّك في مسارات داخل شبكة من العلاقات تربط بين حقول الطاقة ـ أمور غير مادية؛ كالالتفات، والإرادة الحرّة، واللغة، والمجتمع، والأخلاق، والفنّ، ونحوها؟ فسيرل شغل حياته بالإجابة عن الأبعاد المختلفة لهذا السؤال.

3ـ أحد أبعاد هذا السؤال يتعلّق بماهية الحقائق الاجتماعية وبالخصوص ما يتفرّع عليها من حقائق يسمّيها سيرل بالحقائق التأسيسية، وكيف يمكن أن توجد في عالم مادّي، بحيث تناول سيرل هذا البحث تحت عنوان "أنطولوجيا الاجتماع". ويمكن تلخيص "أنطولوجيا الاجتماع" التي طرحها سيرل، أو فلسفته الاجتماعية في محورين:

الأوّل: ماهية الحقائق التأسيسية، والثاني: كيفية ظهور الحقائق التأسيسية.

في الجواب على السؤال الأوّل، قام سيرل بتوضيح ثلاثة جوانب للحقائق التأسيسية:

أوّلًا: أشار إلى الفرق بين الحقائق التأسيسية والحقائق الطبيعية، وذهب إلى أنّ الحقائق الطبيعية كالأشجار والوديان توجد مستقلّةً عن إدراك البشر وتوافقهم واعتباراتهم، بينما الحقائق التأسيسية كالنقود والملكية، يتوقّف وجودها على إدراك البشر ووجود مؤسّسات واعتبارات إنسانية.

ثانيًا: أشار إلى طريق وجود الحقائق التأسيسية وتبلورها؛ إذ رأى أنّ الحقائق التأسيسية ما دام تحقّقها يتوقّف على توافق مجموعة من الناس عليها وقبولها، فإنّها تكون ذهنيةً من الناحية الأنطولوجية، وما دامت أمرًا غير شخصي ولا تتوقف على الاعتقادات والأذواق الشخصية لأفراد الإنسان، فهي أمر عيني من الناحية المعرفية.

ثالثًا: أنّ العناصر التي يكون لها الدور الأساسي في صنع الحقائق التأسيسية هي: الالتفات الجماعي، وإسناد الوظيفة، والفعل الكلامي التصريحي (الإيقاعي) واللغة.

4ـ أنّ الهدف الأساسي من هذه التصريحات حسب جون سيرل هو إيجاد قدرات تكليفية؛ فالمهمّ من إسناد الوظيفة هو إعطاء قدرة (إيجابية أو سلبية) لأشخاص لهم علاقة مع الوظائف المسندة لهم.

5ـ أنّ سيرل لم يوضّح الأساس الذي تقوم عليه حيثية الالتفات الجماعي، بينما تشير الدراسات الاجتماعية إلى أنّ الالتفات الجماعي يقوم على أصل بذل الجهد من أجل الحياة، وعلى أصل الانسجام والتكيّف مع البيئة، وأنّ الالتفات يؤثّر على جهة حركة نظام الاعتباريات.

6ـ بقي سيرل متردّدًا في عنصر الإرادة، وهل الإنسان مجبور أم مختار، ولم يحسم الأمر في المسألة، إلّا أنّ تتبّع سير مباحثه يشير إلى أنّ الإنسان يجب أن يكون مختارًا، ولولا الاختيار لما تمكن من صنع الاعتبار.

7ـ ميّز سيرل بين ملاك تطابق الحقائق التأسيسية على مستوى اللغة والكلام وعلى مستوى الواقع الخارجي، فالصدق في القضايا الاعتبارية يتوقّف على مطابقة الواقع للقضيّة، وأمّا على مستوى الواقع الخارجي، فملاك صدقها هو الإذعان بها أو الوفاء بها، بالنسبة لأفعال الأمر والوعود.

8ـ بعد تحليل سير مباحث جون سيرل نلاحظ أنّ نظرية الحقائق التأسيسية عنده هي نفسها نظرية الاعتباريات الاجتماعية المطروحة في الفلسفة الإسلامية، إلّا أنّ بحث الاعتباريات الاجتماعية أعمّ من بحث سيرل حول الحقائق التأسيسية. فالاعتباريات الاجتماعية تشمل المفاهيم التي تحتاج إلى مؤسّسة إنسانية وتحكمها قوانين خاصّة، وكذلك المفاهيم التي لا تعتمد على المؤسّسة. وأمّا جون سيرل فقد ركّز بحثه في الاعتباريات على الحقائق التأسيسية، أي تلك الاعتباريات التي يعتمد وجودها على المؤسّسة.

9ـ مشكلة سيرل أنّه أراد إدخال الحقائق التأسيسية في عالم الوجود المادّي، والوجود يعني التعيّن والتشخّص، وهذا يتعارض مع قولنا بأنّ الحقائق التأسيسية قائمة بإدراك المدرك. كما أنّه حصر العوالم في عالم المادّة، وهذا أوقعه في مشكلة كون الإنسان مجبورًا؛ لأنّه اضطرّ إلى تحليل الإدراك وكأنّه مسألة بيولوجية تنشأ من الأجهزة العصبية الموجودة في الدماغ، وهذا ما ينفي عنه الاختيار. كما أنّ ادّعائه بأنّ الحقائق التأسيسية تتقوّم باللغة أوقعه في مشكلة الدور؛ لاحتياج اللغة نفسها إلى لغة؛ لأنّ اللغة نفسها من الحقائق التأسيسية.

قائمة المصادر

أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء (المغرب)، 1991 م.

السبزواري، عبد الهادي، شرح المنظومة، منشورات بيدار، قم، ط 1، 1386 هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، اصول فلسفه و روش رئاليسم أصول الفلسفة والمذهب الواقعي]، منشورات صدرا، طهران، ط 2، 1406 هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، نهاية الحكمة، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط 12، 1416 هـ.

سكوت، جون، علم الاجتماع.. المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2009 م.

سيرل، جون، افعال گفتارى الأفعال الكلامية]، معهد العلوم والثقافة الإسلامية، قم، ط 2، 1385 ش.

سيرل، جون، العقل، ترجمة: ميشال حنا متياس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007 م.

سيرل، جون، العقل اللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1427 هـ.

سيرل، جون، القصدية.. بحث في فلسفة العقل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983 م.

سيرل، جون، بناء الواقع الاجتماعي، المركز القومي للترجمة، مصر، ط 1، 2012 م.

سيرل، جون، ذهن، مغز و علم الذهن والدماغ والعلم]، بوستان كتاب، قم، ط 2، 1388 ش.

فيتجنشتاين، لودفيج، تحقيقات فلسفية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2007 م.

مصباح يزدى، محمدتقى، آموزش فلسفه المنهج الجديد في تعليم الفلسفة]، نشر بين الملل، تهران، ط 8، 1388 ش.

Searle, John R, 1979, Expression and Meaning (studies in the theory of speech acts), London: Cambridge University press.

Searle, John R, 1983, Intentionality: An Essay in the Philosophy of Mind, London: Cambridge University Press.

Searle, John R, 1995(b), "The Construction of social reality", New York NY 10020: The free press.

Searle, John R, 1998, "Mind, Language and Society": Philosophy in the Real World. New York: Basic Books. (Also London: Weidenfeld and Nicolson, 1999).

Searle, John R, 2007, "Biological Naturalism", in Velmans, Max, and Schneider, Susan, ed. The Blackwell Companion to Consiousness, Blackwell

Searle, John R., 2010. Making the social world: The Structure of human Civilization. New York: Oxford University Press.